

## خطبة عيد الأضحى

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٧/٥/٢٠٢٦

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

\*\*\*\*\*

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ \* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ \* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ الْخُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ. ﴿

يقول الله تعالى في هذه الآية الكريمة: اعلّموا أن لحوم هذه القرابين ودمائها لن تصل إلى الله قط، ولكن ما يصل إليه هو تقوى قلوبكم. وقد سخر الله هذه القرابين لفائدتكم في الحقيقة، لكي تُعلّوا ذكر الله وتُكَبِّرُوهُ بسبب هدايته لكم. وبشّر الذين يؤدّون أحكام الإسلام حق الأداء.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في هذا الشأن: "إن سنة الله الجارية منذ القدم هي أن كل هذا لا يُنال إلا بعد المعرفة الكاملة. (أي هذا المقام الرفيع من التقوى لا يتحقق إلا حين تكتمل المعرفة). إن أصل الخوف والحب والتقدير هو المعرفة الكاملة"، (أي أن خشية الله تعالى ومحبته لا تتحققان على الوجه الصحيح إلا حين يدرك الإنسان مقام الله تعالى إدراكًا حقيقيًا، وتنشأ في قلبه معرفة صادقة بالله تعالى)

قال عليه السلام: "فمن أُعطي المعرفة التامة فقد أُعطي الخشية والحب الكاملين أيضًا. وكلّ من أُعطي الخشية الكاملة والحب التام فقد نُجّي من الذنب الناشئ عن التجاسر". (إذ إن بعض الأخطاء الصغيرة والذنوب تقع، وهذا أمر طبيعي، لكن حين يتجرأ الإنسان ويستمر في تكرار ذنوبه، فإن ذلك يستوجب عقوبة من الله تعالى)

قال عليه السلام: "نحن لا نعتمد لتحقيق هذا الخلاص على أيّ دم، ولا نحتاج إلى أيّ صليب ولا لأية كفاية، بل نحن بحاجة إلى تضحية واحدة، ألا وهي التضحية بنفوسنا التي تشعر فطرتنا بالحاجة إليها. وهذه التضحية تُدعى بتعبير آخر "الإسلام". والإسلام يعني تسليم العنق للذبح. أي أن تضعوا أرواحكم على عتبة الله طوعًا وانصياعًا... إن تسليم المرء عنقه للذبح برضا وقناعة حقيقيين يتطلب حبًا تامًا ومعرفة تامة. (لا يمكن أن يتحقق ذلك من دون الحب، الحب التام يتطلب معرفة كاملة، وهذا الحب لا يتأتى للمرء ما

لم ينل المعرفة التامة لمقام الله تعالى) وهكذا فإن كلمة الإسلام تُشير إلى أنّ التضحية الحقيقية تحتاج إلى معرفة كاملة وحبّ كامل ولا تحتاج إلى شيء آخر. لقد أشار الله تعالى إلى هذا الأمر حين قال: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾، أي يناله تضحية النفس، وما هي تلك التضحية؟ هي أن تحشوني وتتقوني". (محاضرة لاهور)

ثم يقول حضرته عليه السلام في موضع آخر: "إنّ طهارة القلوب هي التضحية الحقيقية. (إذا أصبحت القلوب طاهرة فهي التضحية الحقيقية) اللحم والدم لا يمثلان تضحية صادقة. يذبح العوام الدواب بينما يذبح الخواص القلوب. ولكن الله تعالى لم يمنع تلك التضحيات (من الخراف والحيوانات) أيضاً ليعلم أن لها علاقة مع الإنسان". (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس)

إن هذه التضحيات الظاهرية أيضاً هي ليتعلم الإنسان منها. فهذه التضحيات تُذكّره بأنه كما ضحى حيوانٌ بروحه من أجلك، عليك أنت كذلك أن تضحي بروحك لله تعالى، وأن تستخدم كامل قدراتك في العمل بأوامره تعالى. وما المقصود بالتضحية بالروح إلا أن تعمل بأوامر الله تعالى وأن تكون مسلماً حقيقياً، حتى تنال حب الله تعالى ويتجلى هذا الحب في أعماله.

ثم في ذكر الموضوع نفسه يقول عليه السلام: "لقد وضع الله تعالى في الشريعة الإسلامية نماذج كثيرة من الأحكام الضرورية، فقد أمر الإنسان أن يضحي بنفسه في سبيل الله بكل قواه وبكل وجوده. فقد جعلت القرابين الظاهرية نموذجاً لتلك الحالة، ولكن الغرض الحقيقي هو هذه التضحية كما يقول الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾. أي اتقوا الله وكأنكم تكادون تموتون في سبيله. وكما تذبحون القرابين بأيديكم كذلك اذبحوا نفوسكم أيضاً في سبيل الله. وكلما كانت التقوى أدنى من هذه الدرجة كانت ناقصة". (ينبوع المعرفة)

ثم يقول حضرته عليه السلام في شرح هذا الموضوع في موضع آخر: "إن لم يصحب الصلاة والصوم الظاهري الإخلاص والصدق فلا ميزة فيهما. الرهبان والمتنسون أيضاً يقومون بمجاهدات كبيرة. يلاحظ في كثير من الأحيان أن بعضهم يتحملون مشاقاً كثيرة ومصائب شديدة حتى تضمر سواعدهم، ولكن هذه المشاق لا تهبهم نورا ولا ينالون سكينه أو اطمئنانا، بل تسوء حالتهم الباطنية ولا تؤثر هذه المشاق على روحانيتهم، لذلك قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ﴾.

الحق أن الله تعالى لا يحب القشر، بل يريد المغزى. في هذا المقام يُطرح سؤال بأنه إذا كان اللحم والدم لا يصله فما الحاجة للتضحيات أصلاً؟ كذلك إذا كان الصوم والصلاة تتعلق بالروح فما الحاجة إلى الحركات الظاهرية؟ (كذلك يسألون إذا كانت الصلاة بالقلب فما حاجة الصلاة الظاهرة؟ قال عليه السلام) وجوابه بأنه صحيح تماماً أن الذين يتخلون عن استخدام الجسم لا تقبلهم الروح أيضاً" (أي من دون استخدام الجسد لا تؤثر الحسنات في الروح. هناك علاقة وثيقة بين الروح والجسد، وتقتضي هذه العلاقة أداء العبادات

الظاهرة كذلك. ومن هذه العبادات الظاهرة: الصوم، والصلاة، وهذا التعبير الظاهري عن التضحية الذي يؤثر بدوره في الروح. وفي عيد الأضحى تُذبح الأضاحي من الأغنام والبهائم. قال عليه السلام: "إن الذين يقولون بأنه لا صلة بين الجسد والروح إنما يقعون في خطأ جسيم وخطير).

قال عليه السلام: "إن السلسلة الروحانية والمادية تمشيان جنباً إلى جنب. قد لاحظنا أنه عندما ينشأ التواضع في الروح ينشأ في الجسد أيضاً، لذا عندما يتولد التواضع والخضوع في الروح تظهر آثاره في الجسم تلقائياً، (فإذا خشعت روح الإنسان، بدأ ينحني ويسجد ويركع، ويظهر ذلك الخشوع في الجسد). كذلك عندما يقع تأثير خاص في الجسد تتأثر به الروح أيضاً". (فعندما يُقبل الجسد على هذه الحركات ويسلك مسلك الخشوع ويُظهره، فلا بد أن يعود ذلك بالأثر على الروح، إذ يسيران معاً في تناغم وتلازم). (الحكم، مجلد ٧، رقم ٨، عدد ٢٨ / ٢ / ١٩٠٣ م، ٢ - ٣)

فهذه هي الفلسفة التي من أجلها نُقدِّم الأضاحي في عيد الأضحى. نحن اليوم نحتفل بعيد الأضحى الذي يُعرف أيضاً بعيد القرابين، وذلك لكي تؤثر هذه الأضاحي الظاهرة في أرواحنا أيضاً، ولتحوّل إلى حقيقة راسخة فينا ذلك العمل بالتعاليم التي أنعم الله تعالى بها علينا عبر النبي صلى الله عليه وآله، وحتى تُحسِّن أحوالنا. وفي هذا الزمان، قد بعث الله تعالى الخادم الصادق للنبي صلى الله عليه وآله لكي يجدد الدين ويصلحنا، فلنسعى لتحقيق ذلك. ولهذا لا بد من التقوى، كما أكد المسيح الموعود عليه السلام مراراً وتكراراً أن التقوى شرط لا غنى عنه. وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم أيضاً إنه لن يبلغه لحومها ولا دماؤها، ولكن يبلغه التقوى منكم.

إن ذبح الخراف فقط لا يُحقق الهدف من عيد الأضحى الذي يريده الله تعالى، ولا يُحقق غاية العبد ولا يجعله حائزاً على رضا الله تعالى. صحيح أن الأضحية عملٌ ظاهري يُذكر الإنسان بأنه ينبغي له أيضاً أن يُقدِّم قرباناً لإصلاح نفسه، وأن يسلك طريق التقوى، ويُطهر روحه ويزكيها، وأن يسعى إلى العمل بما علّمه الله تعالى. وبهذا وحده يستطيع الإنسان أن يكون مؤمناً حقيقياً، وأن يبلغ الغاية الحقيقية وراء عيد الأضحى.

فنحن في هذه الأيام نرتدي الثياب الجميلة، وبعض الميسورين يشترون الخراف والحيوانات الكبيرة ويذبحونها؛ غير أنه إن خلا هذا العمل من التقوى، فحالته كما قال المسيح الموعود عليه السلام: "إنه كالمتنسك الذي يُكابد الرياضة الشاقة، ويظل رافعا يده في مكانٍ واحد ساعاتٍ طويلة حتى تضمر، لكن ذلك كله لا يُؤثر في روحانيته شيئاً".

فإن كانت أضاحينا لا تُؤثر في روحانيتنا، ولا في أعمالنا، ولا ترفع مستوى تقوانا، ومستوى التزامنا الكامل بتعاليم الإسلام، فلا فائدة منها. لذا علينا لذلك أن نحاسب أنفسنا. وما دُمننا قد آمننا بالمسيح الموعود عليه السلام، فلنعلم أنه قد جاء هو لهدف معين، وهو أن يُعيد العالم الذي ابتعد عن التعاليم الحقيقية للإسلام إليها، وأن يُرسخ فيهم الإسلام الحقيقي، وأن يغرس فيهم التقوى.

فعيد اليوم ينبغي أن يكون تذكيرًا لنا أن نُنمِّي التقوى في نفوسنا. وقد قال المسيح الموعود عليه السلام: "إن كنتم تنتمون إليّ، فإن الله يريد أن يجعل من جماعتي أسوة تُتخذى". فإن لم تكونوا أسوة، ولم ترتفع معايير أدائكم حقوقَ الله وحقوق العباد، ولم تتولد فيكم رغبة وشغف خاص في العبادات، ولم ترتفع معايير صدقكم وأخلاقكم، فلا فائدة في ذلك كله؛ لأن هذه الأمور بعيدة عن التقوى. وقد أكّد عليه السلام مرارًا أن الأحدي الحقيقي هو من كان متحليًا بالتقوى، وأن الغاية الحقيقية من الأضاحي لا تتحقق إلا حين تنشأ التقوى في القلوب. وقال: "إن الله يُحبّ المتقين، فكونوا خائفين دائمًا ذاكرين عظمة الله، وخافوا الله خوفًا مقرونًا بالحبّة، وأقبلوا على عبادته، لا تنسوا عبادة الله والغاية منها منغمسين في مشاغل دنيوية".

ويكتب الناس إليّ ويقولون إنهم ينسون أوقات الصلوات أو تفوتهم الصلاة أحيانًا. فأقول: لو كانت في القلوب خشية الله ومحبه وتقواه لما حدث ذلك البتة. ففي هذه الحالة يحافظ الإنسان على صلواته، ويؤخر مشاغله الدنيوية وإن اقتضى ذلك تضحية منه. وقد نبّه عليه السلام كذلك إلى حقوق العباد، فقال: "ينبغي ألا يصدر منكم ظلمٌ بحق أحد، عندها فقط تكونون قد أدّيتهم حق الانتساب إلى جماعتي حقًا". بل قد بلغت نصيحته عليه السلام حدًا بحيث قال: "ينبغي على أفراد جماعتي أن يكون أكبر همّ فوق كل همّ والخوف: هل فيهم تقوى أم لا؟ فإن غاب هذا المهمّ وطغت هموم الدنيا وقلّت التقوى، فلا فائدة من أي شيء".

وما هي التقوى يا تُرى؟ التقوى هي أداء الصلوات في أوقاتها وبشروطها. فإن تشتتّ الذهن أثناء الصلاة، وجب على المرء أن يلجأ إلى الله بالدعاء ليستعيد الحضور ثم يستأنف الصلاة، وأن يتدبّر ما ينطق به من أدعية مأثورة أو آيات قرآنية كالفاتحة، ثم يسأل الله أن يمتعه ببركاتهما. عندها سترتقي معايير التقوى. وكما قلتُ سابقًا: التقوى هي أداء حقوق الله وحقوق عباده معًا.

وفي سياق حقوق العباد، قال المسيح الموعود عليه السلام: "التزموا بالتقوى. إن تعريف التقوى فيما يتعلق بحقوق العباد هو: أن تُعاملوا الآخرين بحُسن الخلق، ولا تتكبروا على أحد، ولا تنظروا إلى أحدٍ بعين الاحتقار، ولا تذكروا أحدًا بازدراء، ولا تخوضوا مع أحد في خصوماتٍ لا طائل منها، وأن تعيشوا بالتواضع والمسكنة". وقال عليه السلام: "يتبين من كلام الله أن المتقي من يمشي هونا وتواضعًا، ولا يتكلّم بكبرياء، بل يكون حديثه كحديث الصغير مع الكبير. فالصغيرُ أو الطفلُ يلقي الكبير بأدبٍ واحترامٍ ومراعاة، كذلك ينبغي أن يكون حديثكم مع الجميع". ونصح عليه السلام بأن نحصر في جميع الأحوال على الكلام الذي يعود بالنفع علينا، والذي يكون سببًا لخيرنا في الدين والدنيا، ووسيلةً لنيل رضا الله تعالى. وقال: "إن الله تعالى ليس حكرًا على أحد، أي لا يملك أحدٌ الله تعالى ملكيةً خاصة، وإنما يريد الله التقوى تحديداً، ومن تحلّى بها فقد بلغ مكانة عليا ونال قُرب الله". والتقوى، كما بيّنتُ من قبل، هي العمل بأوامر الله تعالى. وقال عليه السلام: "إن جميع الأنبياء نالوا مراتبهم لكونهم متصفين بالتقوى".

هذا ما غرسه النبي ﷺ وسائر الأنبياء في أتباعهم، وهو ما قال المسيح الموعود ﷺ في العصر الراهن أنه يريد غرس التقوى في جماعته. يظنُّ بعض الناس أنه لما كان آباؤهم وأجدادهم صالحين، فلعلهم أيضا ينالون ثواب حسناتهم. وقد قال المسيح الموعود ﷺ: "لن ينال أحدٌ ثواب أعمال غيره من الآباء والأجداد، بل كل شخص مسؤولٌ عن نفسه، وكلما ادَّعى المرءُ قُرْبًا من الله أكثر، كان حسابه عنده أشدَّ وأدقَّ". لذا، ما دُمنا قد عهدنا للإيمان بالمسيح الموعود ﷺ، وصدَّقنا نبوءات النبي ﷺ المتعلقة بهذا العصر، وآمنّا بأنه هو المسيح الموعود الذي كان سيأتي خادما للنبي ﷺ لإصلاح العالم، فعلينا إذن أن نُصلح أنفسنا، وأن نرفع مستوى عبادتنا، ولذلك يجب أن نُقدِّم الدين على الدنيا متحلين بروح التضحية، ونسعى للارتقاء في عبادتنا. وكذلك علينا السعي إلى رفع مستوى أخلاقنا، إذ هذان الأمران متلازمان لا ينفصلان.

وقال المسيح الموعود ﷺ: "إن أردتم الفلاح الدائم، وأردتم أن يرضى عنكم الله ويمنحكم التقدم، وأردتم النصر والفتح فاقروا القرآن الكريم واعملوا به واسعوا للامتثال لأوامره. فالنصر لا يأتي بلا جهد هكذا، والنجاحات لا تُنال هكذا، بل لا بد من الجهد والسعي، ولن يجني أحدٌ ثمرة أعماله بمجرد ذبح أضحيةٍ يوميًا واحدًا، بل لا بد من العمل بهذه التعليمات للحصول على النتيجة المرضية". ثم قال ﷺ: "إن الفراسة الصادقة والحكمة الحقيقية لا تُنال بمعزل عن اللجوء إلى الله، فإن أردتم نوال العقل السليم فأقبلوا على الله، واعملوا بأوامره كما قلتُ سابقا. ولا بد من التأمل في مخلوقاته، ثم التضرُّع إليه بالدعاء لنيل الثمرات الطيبة". وقال ﷺ: "إن أردتم أن يكون لكم أثرٌ في الآخرين وأن تنتشر مساعيكم التبليغية، فاعلموا أن التبليغ لا يتحقق هكذا. فإن أردتم أن تنتشر مساعيكم التبليغية فأنشئوا في أنفسكم قوةً عملية، لأن أقوالكم بلا عمل لن تنفع أحدًا. هناك كثيرون يتكلمون بكثرة، والذين يقدمون الأضاحي في هذه الأيام يُعدُّون بالملايين. فهل قد منَّ الله ﷻ عليهم بمكانة رفيعة، بل قد ورد في بعض الروايات أن الحج لم يُقبل من مئات الألوف من الحجيج، وإنما تُقبل من شخص واحد، ومن أجله تقبل الله ﷻ من سائر الحجاج، فإنما يريد الله ﷻ أن تتطهر القلوب، وإن لم تنشأ الطهارة في القلوب فلا جدوى من هذه الحياة والاحتفال بعيد الأضاحي".

فالأصل هو التقوى، وإنما المبدأ أن تتخلقوا بأخلاق سامية، فقد تكرر هذا الحكم، أن ارفعوا معايير عبادتكم ومعايير أداء حقوق العباد أيضا دوما. فمن التقوى أنه إذا تعامل معكم أحدهم بقسوة فرُدُّوا عليه برفق ولطف، ولا تمارسوا عليه العنف والتشدد انتقاما، لأن هذه الأمور تبعد عن التقوى. افحصوا نفوسكم دوما، لأي مدى تستجيبون لأوامر الله، وهذا هو الأصل الذي يهديكم إلى التقوى، وبهذا نصحننا سيّدنا المسيح الموعود ﷺ مرارا وتكرارا في شتى المناسبات.

ثم قال حضرته عليه السلام عندها ستمتعون بفرحة إجابة الدعاء أيضا، يقول الناس نحن لا نتمتع بسعادة إجابة الدعاء، ولا نجد لذة في الدعاء، فهم ينتهون من الصلاة عاجلا، ولا يصيبهم الخضوع القلبي. فقال حضرته: "إنكم لن تجدوا اللذة إلا إذا استجبتم لأوامره. يجب ألا تشتكوا أن دعواتكم لا تجاب مع أنكم تضحون وتصلون أيضا. يقول الله تعالى إنكم لن تنتفعوا بتقبل دعائكم ولن تروا أثر ذلك ما لم تسلكوا سبل التقوى، وسبل التقوى أن تؤدوا حقوق الله وحقوق عباده كاملة. فقد قال عليه السلام ابدلوا قصارى جهودكم لتحسين أخلاقكم، فثمة حاجة ماسة إلى الأخلاق من أجل التقوى. والتقوى لا تنحصر في أداء الصلاة والقول بأننا سنؤدي الحق، بل لا بد من تحسين الأخلاق أيضا، والأخلاق النبيلة تبين حين يتعامل الإنسان مع الآخرين وهم يقولون إن هذا صاحب الأخلاق الحسنة فعلا. ومن دون ذلك لا تستطيعون إحراز التقوى ولا تفوزون بقرب الله، ولا تعدون في زمرة الصالحاء، ولا يسعكم القول إنكم أحرزتم أي حسنة".

فالتحلي بأخلاق فاضلة أيضا مهم جدا، إذا تخلقنا بأخلاق سامية فيمكن أن نشكل مجتمعا عظيما ومحبا، وهي تتضاءل بمرور الزمن، ويجب أن نبذل الجهود من أجل ذلك. فقد قال حضرته: "حين نقول إن التقوى تنال الله، فكيف تصل التقوى إلى الله، في هذه الآية ورد ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾، فقال: أصلحوا أخلاقكم مع الجيران أيضا، إنما ستنال عليه السلام التقوى حين تتحسن أخلاقكم تجاه الجيران، فالذي يُظهر التغيير في أخلاقه وكأنه تغير رأسا على عقب فكأنه يُظهر كرامة، فبذلك لا ترتفع معايير تقواه فحسب، بل يؤدي حق بيعته أيضا، وبسبب ذلك يُظهر نتيجة صالحة، لأن ذلك يترك في جاره تأثيرا ساميا.

فإنما التقوى أن تكظموا الغيظ وعاملوا الناس بأخلاق سامية، واجتنبوا غضب حقوق الناس أيضا، وإذا تطلب القضاء على الشجار والنزاع تحمّل خسارة بسيطة والتخلي عن بعض الحقوق فينبغي ذلك ولا حرج فيه. أو إذا رفعت القضية إلى المحكمة والقضاة، فيجب الانقياد لما صدر من هناك الحكم، إذ بعض الناس يُبدون العناد ولا يقبلون الحكم، ويواصلون رفع الاستئنافات. افحصوا أنفسكم ماذا تعملون من منطلق التقوى. إنكم ترتبطون بي، ولا تكفي هذا الارتباط أمور شكلية فقط، بل يقتضي أن يظهر فيكم تغير واضح تراه الدنيا، أن معايير عباداتكم وأخلاقكم مرتفعة، وعندما يتحقق ذلك عندها يمكن أن تكونوا أحمدين حقيقيين، وعندها ستعدون من الذين يؤدون حق القربان الحقيقي".

وكذلك قال حضرته إن التقوى أن تطهروا قلوبكم وصدوركم من كل أنواع الأصنام الظاهرة والخفية، إذ من دون ذلك لا تُنال التقوى، يجب ألا يخطر ببالكم أيضا أي كبر أو أن فلانا ينفعنا أو يمكن أن ننتفع منه، إنما الله وحده قادر على النفع. كما ينبغي الأخذ بالأسباب أيضا.

قال حضرته: "تلقوا علم الدين وانشروه فهو الآخر من التقوى، أي الحصول على العلم الديني أيضا من التقوى. أما خشية الله فمن أجل الحصول عليها إذا كان يجب الاهتمام بالصلوات المكتوبة، ففي الوقت

نفسه يجب الاهتمام بالنوافل والتهجد أيضا. هذه الأمور تحسّن روحانية الرجل، وعندما تتحسن الحالة الروحانية، فهو الهدف من الأضاحي، الذي يمكن أن يحققه". يقول الناس لا يأتي الفتح، فقال حضرته عليه السلام: "إذا أردتم الفتح والانتصار فكونوا متقين، لأنكم لن تنتصروا ما لم تكونوا متقين".

فإذا كنا نريد الفتح عاجلا، فلا بد لنا من إحراز التقوى، والمحافظة على صلواتنا، وتحسين أخلاقنا والعلاقات المتبادلة، وخلق خشية الله في القلوب. وخاصة في فروع الجماعة التي يتعرض أفرادها للاضطهاد يجب أن يولوا الإنابة إلى الله اهتماما ملحوظا، أي في باكستان أو بلاد أخرى.

قال حضرته تذكروا أمرا آخر وهو أن من التقوى أن نتقدم في الأخلاق والأعمال، لننال فيوض نصر الله وحبه، إذا طورتم أخلاقكم وأعمالكم فسوف تنالون فيوض نصر الله وحبّه، إذا كنتم تريدون الفتح فافعلوا ذلك إذ من دون ذلك لن يستقيم الأمر بأداء الصلاة وذبح القرابين فقط. وبعد الفوز بنصر الله يجب على كل من استطاع ألا يقصر في الرد على الاعتراضات على الإسلام والجماعة. أولا تحلّوا بالتقوى ثم أنجزوا أعمال التبليغ والرد على الاعتراضات، ضمن نطاق الأخلاق. بعضكم يُظهرون أخلاقا سيئة ويستخدمون كلمات نابية ويتصرفون بما يناهز تعليمنا، وهذا ليس من التقوى في شيء، ولن تؤثر دعوتهم شيئا، بل يظهر على عكس ذلك ضرر محتم. واعلموا أن مما يناهز التقوى أن يبدأ المرء الرد بدافع الأنانية فقط. فهذا لا يصح، بل قد قال حضرته عليه السلام أن على المرء أن ينوي إظهار جلال الله.

قال عليه السلام إن الله تعالى كما قال إنما يناله التقوى فقط، فاعلموا أن نصر الله تعالى يحالف جماعة المتقين فقط، إذا كانت الجماعة تقية فسيحالفها النصر من الله، وإن لم تكن تقية فلن يحالفها نصر الله. لذا قبل أن تقولوا إن الجماعة لا تتقدم انظروا إلى حالتكم لأي مدى أحرزتم التقوى، ولأي مدى تؤدون حقوق الله، ولأي مدى تؤدون حقوق العباد، وإذا كنتم تؤدون هذه الحقوق فاعلموا أن الله تعالى سيجيب دعواتكم، ويرزقكم فتوحا أيضا.

قال حضرته قد تلقيت من الله الإلهام عدة مرات: "كونوا متقين. فقد تلقيت الإلهام مرارا وتكرارا أنه إذا اتقى أفراد جماعتك وسلكوا سبل التقوى الدقيقة، فسيكون الله معهم". فقال عليه السلام: "تنشأ في قلبي حرقّة متناهية، أنه ما الذي يجب أن أفعل حتى تحرز جماعةنا التقوى الحقة والطهارة". كانت حالة حضرته هذه يوم كان كثير من الصحابة والصلحاء موجودين، فكان عليه السلام يرى معيار تقواهم ناقصة، واليوم كم يجدر بنا أن نفحص أنفسنا، ما هي المعايير التي أحرزناها نحن.

ثم قال عليه السلام: "إنني أدعو كثيرا حتى يصيبني الضعف وأوشك على الإغماء والموت أحيانا جراء الهموم، وذلك لكي تتولد التقوى في الجماعة".

والجماعة التي لا تكون تقيّة عند الله تعالى لا يحالفها تأييد الله ونصرته مطلقا.

هذه هي الأمور التي نحتاج إلى تذكرها. فإذا أردنا أن نؤدِّي حقَّ بيعة حضرة المسيح الموعود عليه السلام، فيجب علينا أن نزيل همومه هذه أيضا. وذلك من خلال خلق خوف الله تعالى ومحبتته في قلوبنا حقيقةً. فإن كان في ذلك نقص، فيجب أن نعتبره ألما حقيقياً، وأن نجتهد في علاجه. فكما نتناول الدواء إذا أصابتنا آلام جسدية كصداع أو أي ألم آخر في الجسم، كذلك فإن دواء حالتنا هو أن نُنشئ التقوى في قلوبنا، وأن نجتهد في اتباع أوامر الله تعالى. وعندئذ ستكون تضحياتنا نافعة ومفيدة، وإلا فهي بلا فائدة. فإذا كنا نذبح بضعة أكباش أو بقرات دون اتباع هذه الأوامر، فلن يعود علينا ذلك بأي نفع.

ينصح حضرته عليه السلام بخصوص التقوى أكثر فيقول:

"يجب ألا تغتروا ظانين بأننا نصلي ونصوم أو لا نرتكب الكبائر مثل الزنا والسرقة وما شابهها، لأن معظم المنتمين إلى الفرق الأخرى والمشركين وغيرهم أيضا يشاركونكم في هذه المزايا. (وهناك كثير منهم يتمتعون بفضائل أخلاقية ومحاسن متعددة، ويحملون أخلاقاً رفيعة على الأقل، لذا فإن مجرد القول بأننا لم نرتكب هذا الفعل القبيح ليس فضيلة كبيرة.) لذلك الأصل في الموضوع هو أن تدركوا حقيقة التقوى، واحرصوا دائماً على اليقين التام بالله تعالى، وكونوا مستعدين لتقديم كل تضحية في سبيله. عندما تُضحون بالأكباش والحيوانات بصورة القرابين الظاهرية، فيجب أن يترسخ في داخلكم أنكم ستكونون مستعدين لتقديم أنفسكم قرباناً لله تعالى".

إن التضحية بالنفس لا تحتاج إلى وضع السكين على الرقاب، بل يكمن جوهر التضحية الحقيقية في أن نضع الدنيا خلف ظهورنا، ونسعى بكل ما أوتينا لتحقيق هدفنا الحقيقي وهو نيل رضا الله تعالى. وينبغي أن يكون الإنسان دائم الاستعداد لتقديم أعظم التضحيات لتحقيق هذا الهدف. فينبغي ألا ننسى الصلوات، وألا نسقط في مستنقع الأخلاق الدنيئة عند حدوث خلاف أو جدال مع أحد. وعند تحقيق ذلك نكون قد حققنا عهدنا الذي زددته دائماً: "سنؤثر الدين على الدنيا". فمن أراد أن يُقدِّم الدين على الدنيا، فلا بد له من تضحية صادقة. وهذه هي الروح الحقيقية والفلسفة العميقة للعيد. فإذا فهمناها وعملنا بها، استحققنا أن نحتفل بعيد الأضحى احتفالاً حقيقياً، وإلا فإن كل ما نقوم به لن يكون إلا كلاماً فارغاً.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "يتجلى الله على المتقي، ويكون تحت ظل الله تعالى، شريطة أن تكون التقوى خالصة ناصعة، وألا يكون مشوباً بنصيب للشيطان، لأن الله تعالى لا يحبّ الشرك. إذا كان في تقواه نصيب للشيطان فإن الله تعالى يقول: إنه كله للشيطان.

إن الأذى الذي يصيب أحباء الله إنما يصيبهم لحكمة من الله تعالى. وإلا فلو اجتمعت الدنيا كلها فلن تقدر على إيدائهم مثقال ذرة. فيما أنهم يأتون لإرساء أسوة في العالم، (وتأتيهم هذه المصائب ليبتلي الله تعالى عباده، فيختبر هل في قلوبهم روح التضحية والقرابان أم لا، لأنها عبارة عن التقوى بعينها. يقول

حضرته:) لذلك لا مناص لهم (أي الأنبياء وأولياء الله تعالى) من أن يُقدّموا للناس أسوة في صبرهم على الأذى في سبيل الله، وإلا فإن الله تعالى يقول عن أحبائه المتحلين بالتقوى: لا أتردد في أي شيء كتردد في قبض روح وليّ لي. إن الله تعالى لا يحبّ أبداً أن يتعرض وليّه للأذى، ولكن أوليائه يؤذون لضرورة وحكمة. (وذلك لبيان أنهم مستعدون لتقديم كل قربان لمرضاة الله تعالى. وإن قربان الحيوانات ليست إلا لتعليمهم هذا الدرس بالذات، قال حضرته:) وهذا خير لهم لأن الأذى يكشف أخلاقهم. (أي لا تتجلى منهم الأخلاق العليا إلا عند إقدامهم على التضحية. لقد ضرب حضرته مثالا بالنبي ﷺ وقال:) انظروا كيف أصبح رسول الله ﷺ وحيدا في معركة أحد. كان السر في ذلك أن تتجلى شجاعة النبي ﷺ، حيث تصدى لعشرة آلاف من الأعداء، وتحداهم ونادى: أنا رسول الله! لم تنح لأي نبي آخر الفرصة لتقديم مثل هذه الأسوة".

فقال ناصحاً جماعته: "يجب ألا تغتروا بأنكم تصلّون وتصومون، أو لا ترتكبون الكبائر كالزنا والسرقة وغيرها، لأن أتباع معظم الفرق الإسلامية الأخرى، بل المشركين وغيرهم أيضا يشاركونكم هذه المزايا (كما ذكرت لكم قبل قليل). إن التقوى موضوع دقيق جدا، فاسعوا للفوز به. رَسَّخُوا عِظْمَةَ اللَّهِ فِي الْقُلُوبِ. (أي إنما التقوى أن ترسخوا عظمة الله في قلوبكم) من كان في أعماله شائبة من الرياء ردّ الله أعماله في وجهه (ينبغي ألا يكون هناك رياء ولا تصنع. فإذا كان هناك رياء وتصنع، فليس ذلك تقوى، والله تعالى يرده ولا يقبله). وأن يصير المرء تقيًا هو أمرٌ صعب جدا. فمثلا لو اتهمك أحد بتهمة يسيرة وغضبت عليه، فإن مثل هذا التصرف بعيد عن التقوى. (الغضب لأتفه الأسباب، والانخراط في المشاجرات، والدخول في الجدالات العقيمة، كلها أمور تبعد المرء عن التقوى. فقال حضرته: لا يكون عمل المتقي هكذا، إن عمله هو أن يكون صابرا على كل مشقة في سبيل الله تعالى خالصا لوجهه، وأن يكون صاحب عزيمة وهمة، ويتحلى برحابة الصدر. قال حضرته:)

"لا يكون الإنسان تقيًا ما لم يأت عليه صنوف الموت مرارا. (يظن بعض الناس أن الذي يرى رؤى كثيرة أو يتلقى بعض الإلهامات فقد أصبح تقيًا. ولكن قال حضرته:) لا تجرّوا وراء الإلهامات والرؤى، بل اسعوا لإحراز التقوى. (فيجب أن تتعلموا هذا الدرس أنه عليكم التحلي بالتقوى، ولا تعدّواكم من الرؤى وأي نوع منها رأيتموه) من كان تقيًا كانت إلهاماته أيضا صادقة، أما الذي لا يكون متحليا بالتقوى فلا عبرة بإلهاماته، (ولا يعتدّ بها) بل قد يكون فيها نصيب من الشيطان إذا لم تكن هناك تقوى، فقد يرى رؤى شيطانية. وعليه فإن مجرد رؤية شخص بعض الرؤى لا يعني أنه أصبح تقيًا كبيرًا، هذا ليس مقياسًا. إنما المقياس الحقيقي هو تقواه التي تظهر من خلال أعماله الظاهرة. فإذا كان يؤدي حقوق الله وحقوق العباد، عندئذٍ تُختبر أقواله عن رؤاه وغيرها، ويتبين ما إذا كانت حقًا من عند الله تعالى أم لا".

فهذه هي عدة أمور ينبغي أن نضعها دائماً في اعتبارنا، وهذا هو الدرس الذي نتلقاه من عيد الأضحى. فإن لم ننتبه إلى هذه الأمور، فإن عيد الأضحى، أو تضحيات الخراف، أو الأبقار، أو الإبل، لن تجدي نفعاً. وكما ضربت مثلاً سابقاً: أنه بسبب شخص واحد - لم يحج أساساً، لكنه كان متقياً صالحاً - قُبل حج الآخرين أيضاً. كذلك، مجرد تقديم الأضاحي ليس دليلاً على رضا الله تعالى عنا. بل المهم أن تتولد فينا روح تجعلنا مستعدين دائماً للتضحية بأرواحنا وأموالنا وأوقاتنا وكرامتنا، وأن نوتر الدين على الدنيا. ويعلمنا عيد الأضحى أننا يجب أن نكون دائماً مستعدين لأية تضحية في سبيل الدين، ونسعى دومًا لنيل رضا الله تعالى. وعلينا أن نرفع معايير عبادتنا ومعايير أخلاقنا، ونحسن علاقاتنا بالآخرين، بل ونستميل الأعداء بأخلاقنا العالية. وهذه نصيحة الله تعالى لكم في مجال الدعوة أيضاً أنه إن أظهرتم الأخلاق الحسنة على الوجه الصحيح، وعاملتم الأعداء بالحسنى، فإنهم سيصبحون أصدقاء لكم.

ينبغي لنا أن نلتفت إلى هذه الأمور، وألا نكتفي بالفرح لمجرد أننا قدّمنا الأضاحي. نسأل الله تعالى أن يوفقنا للاحتفال الحقيقي بالعيد، وأن يرزقنا فهم أهمية التضحيات وأن يوفقنا للثبات على مكارم الأخلاق، وأن يرفع مستوى أقوالنا، وأن يجعلنا من الذين يريدنا أن نكونهم المسيح الموعود عليه السلام في ضوء تعاليم الإسلام، وأن نكون في كل حال من السائرين على طريق التقوى.

وسنقوم الآن بالدعاء. وفي الدعاء، ينبغي أولاً أن ندعو للأحمديين في باكستان الذين، يقدمون التضحيات في الأنفس والأموال بسبب القوانين الظالمة، ومع ذلك تُفرض القيود حتى على عباداتهم، فلا يستطيعون أداءها بحرية. فهناك قيود حتى على أداء صلاة العيد، ولا يُسمح لهم أيضاً بذبح الأضاحي.

بل إنهم لا يستطيعون حتى أداء صلاة العيد داخل بيوتهم وبين جدرانها الأربعة، فذلك أيضاً ممنوع عليهم. والذين يملكون القدرة على تقديم الأضاحي يُجرمون منها، وحتى إن قاموا به داخل منازلهم، يُعتبر ذلك جريمة كبيرة، فتتحرك الإدارة ضدهم وتبدأ حملات الاعتقال والمداومة. وتُفرض عليهم مراقبة الشرطة كأهم ارتكبوا جرماً عظيماً، بينما المجرمون الحقيقيون الذين نشروا الفساد في البلاد لا يوجد من يقبض عليهم، وهم يفعلون ما يشاؤون بحرية. وعلى كل حال، نسأل الله تعالى أن يُحسن أحوال الأحمديين في باكستان، وأن يخلصهم من هذه المظالم، وأن يتقبّل تضحياتهم.

وكذلك ادعوا للأسرى أن يهيب الله تعالى لهم أسباب الإفراج العاجل، فهم أيضاً يقدمون تضحيات عظيمة. وادعوا أيضاً لذرية الشهداء، أن يوفقه الله تعالى لحفظ تضحيات آبائهم وأجدادهم. وادعوا لجميع الأحمديين في أنحاء العالم، أن يقوّي الله إيمان كل واحد منهم، وأن يرفع باستمرار معايير تقوانا.

ومع هذا أقول للجميع: عيد مبارك. ففي بعض الأماكن تمرّ ظروف صعبة في أيام العيد، ولكن مع ذلك، وبما أننا نحتفل بهذا العيد ابتغاء مرضاة الله تعالى، فعلياً أن نقبل هذه التضحيات أيضاً بسرور، وإذا قبلناها بسرور فإن الله تعالى سيتقبّل تضحياتنا كذلك.

واليوم كان العيد أيضًا في باكستان، ولكن في كثير من الأماكن اضطر الأحمديون إلى أداء صلاة العيد خفية داخل بيوتهم. نسأل الله تعالى أن يرفع هذه المظالم، وأن نكون من الذين يقدمون التضحيات الحقيقية. آمين.

\*\*\*\*\*